الفصل الرابع عشر

انتخابات ١٩٩٦: ماذا بعد؟!

فاز تكتل الليكود بانتخابات الكنيست الرابع عشر، مايو ١٩٩٦، وتولى «بنيامين نتنياهو» رئاسة الحكومة الإسرائيلية، لمدة أربع سنوات قادمة، معتمداً فى تشكيل أركانها على ائتلاف يمينى ـ دينى (أصولى)، يرتكز على التحالف بين الاتجاهات الصهيونية السياسية شديدة التعصب والعنصرية من جهة، وعلى الأحزاب الدينية التى حصلت على ٢٦ مقعداً بزيادة ١٣ مقعداً عن الكنيست الثالث عشر، من جهة أخرى.

وصل نتنياهو إلى قمة السلطة فى إسرائيل، باعتباره «الأفضل لليهود» وعلى أساس برنامج سياسى يضم مجموعة من اللاءات القاطعة، أبرزها:

ـ لا للدولة الفلسطينية، ويكفى الفلسطينيين ما حصلوا عليه من حكم ذاتى شكلى محدود، بدون أمل فى تطويره أو طموح لتعميقه وتوسيع مداه.

ـ لا للمشاركة فى مدينة «القدس»، باعتبارها «عاصمة لدولتين» كما كان يطمع بعض الواهمين، فالقدس هى العاصمة الوحيدة الأبدية لإسرائيل.

ـ لا للانسحاب من الجولان: فهى «أرض تحت السيادة الإسرائيلية المطلقة»❖.

وإضافة إلى هذه اللاءات، احتوى البرنامج الليكودى المعلن تنويهاً بقوة الجيش الإسرائيلى، باعتبارها مفتاح الحل والربط فى المنطقة، وهو الذى يردع العرب ويحمى أمن إسرائيل، الأمر الذى يخوله حق دخول الأراضى الفلسطينية المدارة بواسطة (السلطة الوطنية الفلسطينية) إذا اقتضى الوضع، كما يعتبر حزب «الليكود» أن حدود إسرائيل الشرقية هى نهر الأردن عند

❖ يُلاحظ أن هذه المحددات الاستراتيجية التى أعلنها «نتنياهو» فى عهد وزارته الأولى (عام ١٩٩٦) لازالت هى الحاكمة فى عهد وزارته الأخيرة (٢٠١٠)، وهى التى ستحكم مسار المفاوضات الجديدة التى ستطلق بمبادرة من الرئيس الأمريكى «باراك أوباما»، هذا العام.

بحيرة طبرية إلى البحر الميت، ثم جنوباً حتى البحر الأحمر، ويؤمن «بحق اليهود فى جميع الأراضى الواقعة بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط، باعتباره «حق مطلق ونهائى، ولهذا ينبغى، تعزيز الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية، وزيادته بنسبة نصف مليون مستوطن جديد حتى عام ٢٠٠٠»[١].

وقد أجمل «نتنياهو» سياسته فى مفهوم جديد غريب هو «السلام مقابل السلام»، بعد أن أطاح بالمفهوم السابق «الأرض مقابل السلام» الذى اعتبرته الاوساط الإسرائيلية العمالية والعربية، أطراف عملية التسوية السياسية السابقة، مرجعية مقبولة للتحرك فى إطارها.

وكان أبرز دلالات نتائج الانتخابات الأخيرة، التى خسرها حزب «العمل» وخسر معها عشرة مقاعد، كما خسرت خلالها كتلة «ميرتس» (اليسارية) ثلاثة مقاعد، **ما أشار إليه المحللون من أن التيار (العلمانى) فى إسرائيل قد أخذ فى الانحسار، وفى المقابل حققت الأحزاب الدينية واليمينية المتطرفة تقدماً فى عدد المقاعد عما كان لها فى الكنيست السابق.**

فـ«الحزب القومى الدينى»، «المفدال» كسب أربعة مقاعد إضافية (من ستة إلى عشرة مقاعد)، و«حزب شاس» (الذى يمثل المتدينين من اليهود الشرقيين) فاز أيضاً بأربعة مقاعد إضافية (من ستة إلى عشرة مقاعد).

أما حزب «موليدت» الذى لا يعترف بالدولة الفلسطينية ويدعو إلى ترحيل جميع العرب، سواء المقيمين منهم داخل إسرائيل أو فى الأراضى المحتلة، إلى الأردن أو إلى أية دولة عربية أخرى، على سبيل تحقيق النقاء العنصرى لإسرائيل كـ«دولة يهودية».. قد فاز بمقعدين بعد أن كان له مقعد واحد.

وهناك حزبان جديدان لم يكن لهما وجود فى البرلمان السابق وحققا مكاسب ملحوظة وهما:

- حزب «الطريق الثالث»، الذى انشق على حزب العمل، بسبب الخلاف مع «بيريز» حول الانسحاب من الجولان، وهو يضم أعضاء المستوطنات اليهودية

(١) مجلة «الوسط»، العدد (٢٢٧)، ١٩٩٦/٦/٣.

التى أقيمت فى هضبة الجولان، وترفض الانسحاب منها حتى فى ظل معاهدة سلام سورية ـ إسرائيلية، وقد حصل على أربعة مقاعد من لا شىء.

ـ حزب «إسرائيل إلى العلا» أو «إسرائيل باعاليا». وهو حزب جديد أسسه أخيراً اليهود القادمون من الاتحاد السوفيتى السابق، بزعامة «ناتان شارانسكى»، واسمه الأصلى «أناتول شارانسكى»، وكان جاسوساً إسرائيلياً فى الاتحاد السوفيتى، واعتقلته السلطات السوفيتية وحاكمته وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة، ثم جرى تبادله منذ ست سنوات مع جاسوس كان يعمل فى إسرائيل لحساب الاتحاد السوفيتى. ومنذ وصول «شارانسكى» إلى «أرض إسرائيل»، عام ١٩٩١ اعتبروه بطلاً قومياً، واتخذه اليهود السوفيت المهاجرون إلى إسرائيل زعيماً لهم، لكى ينهض بالدولة على نحو ما فعل مؤسسو الدولة منذ نحو نصف قرن، حيث كان معظم هؤلاء «الآباء» المؤسسون من المهاجرين من الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا مثل «بن جوريون» و«جولدا مائير»، وأيضاً «شيمون بيريز» نفسه.

وقد حصل هذا الحزب على سبعة مقاعد من لا شىء.

ومعنى هذه المكاسب الملحوظة للأحزاب الدينية واليمينية المتطرفة أن هناك مداً واضحاً فى الموجة «الدينية القومية»، وأن هذه الموجة جاءت على حساب انحسار «التيار العلمانى»[1]، ذلك التيار الذى راهن عليه كثير من العرب فى الفترة السابقة.

وللدلالة على التوجهات الحاكمة لمواقف هذه الأحزاب الدينية المتشددة، التى تحكم إسرائيل وسياساتها الآن، يكفى أن نستعرض تصريحاً للنائب «حنان بورات» عضو «الحزب القومى الدينى» (٩ نواب)، المتحالف مع حزب «الليكود»، فقد صرح «بورات» قائلاً:

«إذا نَفَّذَ ياسر عرفات تهديده، بإعلان قيام دولة فلسطينية عاصمتها

(١) حسن فؤاد: ما بعد الانتخابات الإسرائيلية: هل تضع إسرائيل مصيرها بين أيدى «آيات الله اليهود»، جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٩٩٦/٦/١١.

«القدس» ينبغى على الحكومة أن تعلن على الفور بسط سيادتها على قطاعات يهودا السامرة (الضفة الغربية)، التى لا تزال تحت سيطرتها».

وأوضح «بورات» أن عملية الضم هذه، يجب أن تشمل المناطق التى لاتزال تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة أو الجزئية، أى أكثر من ٩٠٪ من مساحة الضفة الغربية، لكن باستثناء المدن السبعة، فى المنطقة التى باتت خاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية.

وقال أيضاً إن أياً من المستوطنات الـ ١٤٠ فى الضفة الغربية وقطاع غزة لن تفكك، وأن «المستوطنات الواقعة فى مناطق حيوية بالنسبة إلى أمن إسرائيل ستخضع للسيادة الإسرائيلية».

وكان «بورات» قد كُلف، بالتعاون مع نائب الليكود «ميخائيل إيتان»، بإعداد مسودة برنامج عمل الحكومة الإسرائيلية الجديدة، التى احتوت أيضاً ما يشير إلى أن هضبة الجولان السورية التى احتلتها الدولة الصهيونية فى العام ١٩٦٧، حُددت «كمنطقة حيوية لأمن إسرائيل»، واستبعدت أى «تنازل» عن هذه «الأراضى»، فى حال التفاوض مع سورية»(١).

يمكن، اختصاراً، إجمال ما تم فى إسرائيل خلال الشهور القليلة الماضية، على أنه **انقلاب أطاح بـ «العلمانيين» الإسرائيليين، ورفع إلى سدّة الحكم فيها تحالف الجنرالات والحاخامات، الأكثر تعصباً وعدوانية وكراهية للعرب وللفلسطينيين وللمصريين، وللسلم والحرية، وللإنسانية جمعاء.**

إن هذه النتيجة تستدعى إعادة تقويم شاملة للموقف القومى والوطنى، وإعادة بناء لحائط المواجهة العربى والمصرى، الذى تصدَّعت أركانه فى السنوات السابقة، وإعادة تأكيد لثوابت الصراع المصيرى، بين أصحاب الأرض الحقيقيين وبين المغتصبين.. وهى أولاً وأخيراً تستدعى وقفة موضوعية مع الذات لتصحيح الخلل الاستراتيجى فى مفهوم الصراع وآليات المواجهة، التى لن تنتهى إلا بهزيمة الطرف العنصرى الصهيونى. المعتدى، ودحره نهائياً.

(١) جريدة «الحياة» الدولية، ١٩٩٦/٦/١٤.

«خريطة مملكة إسرائيل، الوارد ذكرها فى التوراة، يجرى رسمها من جديد، على أساس النتائج الحاصلة من عملية مسح الآثار فى مناطق جبال (اليهودا والسامرة).. ومرتفعات الجولان».

«بنيامين مازار»

رئيس مجلس الآثار الإسرائيلى

١٩٦٨/٤/١٢

«ولما كان عندنا كتاب التوراة (Book of the Bible)، ونحن أهل الكتاب (People of the Book)، يصبح لدينا أيضاً «أرض التوراة»، (Land of the Bible)، أرض القضاة والآباء، فى القدس والخليل وأريحا وجوارها».

«موشيه دايان»

فى ٩ أغسطس ١٩٦٧

obeikan.com